

الفصل السادس

حرب الاستقلال الأمريكية

في أواخر القرن الخامس عشر بدأ الانجليز يشاركون في حركة الكشوف الجغرافية وترتب على ذلك نجاح جون كابوت في الوصول الى نيوفوند لاند ، ومن هنا تملكت انجلترا ما عرف بعد ذلك باسم الولايات المتحدة الأمريكية حيث أسس الانجليز أولى مستعمراتهم هناك في عام ١٦٠٧م والتي عرفت باسم جيمستون ، ثم توطد استعمارهم هناك نتيجة للهجرات الانجليزية المتتالية خصوصا من البيورتان Puritains (المطهرون) الى هذه المناطق حتى وصلت المستعمرات الانجليزية الى ١٣ ولاية كان اكثرها قدما مستعمرات الشمال وهي ماشوسيتس وبنسلفانيا وانجلترا الجديدة وكانت هذه المستعمرات تابعة لملك انجلترا في ظل حكم ذاتي تتمتع به .

وقد رأت الحكومة البريطانية أن تربط تجارة مستعمراتها في أمريكا معها فقط ، ولكي تصبح هذه المستعمرات سوقا رائجة للصنوعات الانجليزية تحصل منها على أكبر ربح تجارى فرض عليها عدم انشاء صناعة الحديد .

وكان الحكم الانجليزى في هذه المناطق يعتمد على ثلاثة مراكز رئيسية وهى الحاكم والمجلس النيابى والمجلس الاستشارى ، وكان الحاكم هو المسئول الأول عن رعاية شئون ولايته ، والمحافظة على الأمن فيها ، وكان يتم تعيينه بقرار من ملك بريطانيا .

وكان المجلس النيابى ينتخب من قبل أهل الولاية ولفترة تنحصر بين عام وعامين ، وتنحصر مسؤوليته في سن الضرائب والاشراف على الموظفين وتقدير رواتبهم أما المجلس الاستشارى فكان بمثابة سلطة

استشارية في الولاية لها الحق في الاعتراض على قرارات الحاكم والمجلس
النيابى .

قد استطاع المجلس النيابى أن يلعب دوره من أجل اضعاف مظاهر
الحكم الذاتى لسكان أمريكا في ظل التاج البريطانى ، وازداد الشعور
بالانتماء القومى لدى سكان هذه المستعمرات ، وزداد الاحساس بأنهم
لا يقلون كفاءة في ادارة شؤونهم عن الحكام الانجليز ، ولكن نظراً لرفض
ملوك انجلترا اعطاءهم هذا الحق واصرارهم على التطبيق الصارم للقوانين
التي تصدرها بريطانيا فقد تريت سكان هذه المستعمرات بعض الوقت ،
وعندما أصرت انجلترا على فرض الضرائب على سكان هذه البلاد دون
الرجوع الى المجلس النيابى اعترض المستوطنون على القيود والضرائب
المفروضة عليهم غير أن الحكومة البريطانية لم تلتق لهم بالآ ، ولما فرضت
الحكومة البريطانية ضريبة التمغة Stamp Act في عام ١٧٦٥ والتي
تنص على أن كل حكم قضائى يجب أن يكتب على ورق عليه خاتم يباع
لصالح الحكومة رفضها الأمريكيون وتمسكوا بضرورة أخذ رأيهم في فرض
الضرائب ، ومن أجل ذلك عقدوا مؤتمراً في نيويورك في عام ١٧٦٥ اشتركت
فيه تسع ولايات أمريكية ، وكان أهم قراراته مطالبة الحكومة البريطانية
بالغاء هذه الضريبة ، ولتهدئة الموقف اضطر الانجليز الى الموافقة على الغاء
هذه الضريبة ولكنهم تمسكوا بحق البرلمان الانجليزى فرض أية ضرائب
أخرى مما جعل الخلاف محتدماً وخاصة بعد أن فرضت الحكومة الانجليزية
عدة ضرائب على الزيت والنبذ والزجاج والورق واستيراد الشاى ، وقد
عارض الأمريكيون هذه الضرائب وبدأوا يتهربون منها فاستعاضوا عن
استيراد الشاى بشراء المهرب منه عن طريق الهولنديين ، ولكن الانجليز
حاولوا اجبارهم على شراء الشاى من شركة الهند الشرقية التي كان أثرياء
بريطانيا من المساهمين فيها ولما حاول الانجليز نقل كميات كبيرة من
الشاى من لندن الى بوسطن ، وبعض الموانى الأمريكية الأخرى لاجبار
الأهالى على شرائه القى سكان بوسطن في ديسمبر ١٧٧٣ بحمولات ثلاث
سفن انجليزية محملة بالشاى في البحر حيث تنكروا في زى الهنود الحمر ،
وصعدوا الى مراكب التفرغ وقذفوا بالشحنة الى البحر أمام جمهرة من
الأهالى المشجعين لهم مما أثار الانجليز فاغلقوا ميناء بوسطن وهددوا

بإنزال العقاب بسكانه ، مما أدى الى تفجر الموقف ، واندلاع الشرارة التي أشعلت نار الحرب بين السكان وبريطانيا وبخاصة بعد أن انضمت العديد من الولايات الأمريكية الى سكان بوسطن في موقفهم المعادى للانجليز ، وعلقت أن الاعتداء على أية ولاية أمريكية يعتبر اعتداء على جميع الولايات ، فتم عقد مؤتمر في فيلادلفيا في عام ١٧٧٤ حضره جورج واشنطن ، ومن خلاله تأسس الكونجرس الأمريكي الأول من مندوبى الولايات ، وكانت من أهم قراراته ، تحذير الحكومة الانجليزية من أن تصرفاتها تجاه المستعمرات الأمريكية سيؤدى الى الاضرار بمصالحها والاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى اتخذها الحكومة الانجليزية ضد سكان بوسطن ومع ذلك تأبه الحكومة البريطانية بهذا التحذير ، بل استمرت فى ارسال قواتها الى بوسطن فى محاولة لتأديب أهلها الذين قاموا بالقاء الشاى المحمول على سفن انجليزية فى البحر ، مما دفع سكان الولايات الأمريكية الى الاستعداد للحرب حتى يتم استقلالهم عن انجلترا ، فعقدوا اجتماعا آخر فى فلادلفيا عام ١٧٧٥ اتفقوا فيه على تأليف جيش أمريكى موحد ، كما ناشدوا الملك « جورج الثالث » بالكف عن الاجراءات التعسفية لحكومته حتى يظلون رعايا مخلصون له ، ولكنه أمر على تشبته بحقوقه المطلقة على المستعمرات الأمريكية ، كما أمر على ضرب الحركات الثورية بها ، ونتيجة لذلك قبلت الولايات الأمريكية التحدى ، وعين الكونجرس جورج واشنطن فى ١٥ يونية ١٧٧٥ ، قائدا عاما لقوات المستعمرات الثلاث عشرة ليس لكونه مجرد رجل حرب يجيد فن التكتيك والاستراتيجية العسكرية ، أو لأنه كان أمصح المتكلمين فى المؤتمر بل لما توسموا فيه من الحكمة والكفاية والاستعداد للبلذ والتضحية .

والجدير بالذكر انه لما قامت الحرب الفعلية بين انجلترا ومستعمراتها الأمريكية فى عام ١٧٧٥ أى بعد حادث بوسطن بعام ونصف لم يكن سكان المستعمرات يهدفون من حربهم الى الانفصال عن انجلترا ، بل ظلوا يخاطبون ملك بريطانيا بالملك الصالح ، ولم يكن هدفهم سوى الحصول على استقلال داخلى ضمن السيادة البريطانية ، وقد أكد ذلك جورج واشنطن فى عام ١٧٧٤ بقوله « انه لا يوجد فى أمريكا الشمالية رجل عاقل واحد يرغب فى الاستقلال » .

وفيما يلي نعرض لشخصية واشنطن التي ارتبط بها تاريخ استقلال الولايات المتحدة الأمريكية .

ولد جورج واشنطن في إحدى قرى أمريكا الشمالية بولاية فرجينيا في الثاني والعشرين من فبراير ١٧٣٢ من أسرة كان جل اهتمامها بالزراعة .

وقد شارك جورج والده في الأعمال الزراعية ورعى البقر في المرحلة الأولى من حياته ، وكان محبا لركوب الخيل ، كما تلقى تعليما متوسطا في مسقط رأسه ، فبرز نبوغه الطبيعي ، وتفوق على أقرانه ، وكان قد تعلم الإنجليزية ثم عكف على دراسة الفرنسية ، ولكنه لم يوفق في الإلمام بها كما يجب .

وقد انتخب جورج واشنطن نائبا لولاية فرجينيا واستمر في هذا المنصب خمس عشرة عاما ظهرت فيها صفاته وأخلاقه واضحة مما أكسبه محبة مواطنيه واحترامهم ، وكان كل يوم يزداد اعتبارا ووقارا في قلوبهم خاصة وأنه كان يكره التملق والرياء كما كان صريحا ينفرد من الكذب وطرق الخاتلة والخداع ، وفوق ذلك كان متدينا يهوى القراءة في الأناجيل .

وفي عام ١٧٥٠ عين واشنطن قائدا ل إحدى المناطق العسكرية في ولاية فرجينيا ثم تدرج في المناصب العسكرية حتى وصل إلى منصب قائد للفرق العسكرية الوطنية عام ١٧٥٥ ثم اعتزل الخدمة العسكرية عام ١٧٥٨ وانتخب عضوا في ولايته .

وعندما حدثت المناوشات والاشتباكات بين الإنجليز والأمريكين بالقرب من بوسطن بسبب اغراق السفن الإنجليزية المحملة بالشاي عقد مؤتمر في فيلادلفيا عام ١٧٧٦ لمناقشة هذا الموقف وانتخب فيه جورج واشنطن قائدا لقوات الحرس الوطني ، وهو في الثالثة والأربعين من عمره . وكان ذلك بداية الصعود إلى القمة وقد سار واشنطن بجنده إلى نيويورك فكمبريدج وغيرها وكان حينها حل يجد الأمريكان قائمين على قدم وساق من أجل الاستقلال .

وقد نجح واشنطن في اعداد جيش تسوى متماسك وقادر على الصمود في وجه القوات الغازية ومع أن الانجليز فرضوا حصارا بحريا على المستعمرات الأمريكية لتثبيط همم السكان واضعاف روحهم المعنوية فان ذلك لم يثن من عزيمة واشنطن بل زاد من مثابرتة واستعدادة ضد الانجليز .

وعندما بدأت الحرب بين الطرفين برزت خلالها مقدرة واشنطن القيادية وكفايته واقدامه الحذر وعدم اعترافه باليأس بل انه كان يتعلم من الهزيمة ويعيد ترتيباته وحساباته فعندما سارت الحملة الأولى لضرب بوسطن وكان الأمريكان في قلة من المؤن والذخائر والرجال ولم يكن لديهم جيش كبير منظم ظهرت براعة واشنطن وحكمته ، فصبر صبر الرجال حتى لم شعث رجاله واستعد للالتقاء عدوه ، وفي مارس ١٧٧٦ هجم واشنطن على حصن بوسطن وهدده باطلاق النار اذا لم يسلم ، كما أوعز بأنه يملك من القوات والعتاد ما لا طاقة لأعدائه به مما أدى الى تسليم الحصن وانسحاب الانجليز منه ، ودخول واشنطن مدينة بوسطن ظافرا مع ما كان فيه من صعوبة المركز ، وقلة الجند بالنسبة للانجليز .

وسار واشنطن بعد ذلك الى فيلا دلفيا واجتمع بمجلس الأمة ، وتفاوضوا في طريقة يتوصلون بها الى اصلاح ذات البين بينهم وبين انجلترا رعاية لسلطاتها ، وكان رأى واشنطن في ذلك « اننا لا نستطيع القيام بمطالب انجلترا ، وليس لنا أمل يعقد الصلح معها فاما أن نجتمع كلتنا وندافع عن وطننا الى آخر نسمة من حياتنا واما أن نضع أعناقنا تحت أقدام الانجليز ، ونقول على الحرية وأهلها السلام » فوافق المجلس على رأيه وأخذ العدة من أجل الدفاع .

ولما قدم الانجليز باسطولهم لضرب مدينة نيويورك تقدم واشنطن بما لديه من جنود لمواجهةهم ، وصمدت نيويورك أمام الانجليز ، وفي أثناء ذلك اجتمع مجلس الأمة الأمريكي ، وأعلن استقلال الولايات المتحدة في ٤ يوليو ١٧٧٦ فاحتجت بريطانيا على ذلك واعتبرته عصيانا ، وأرسلت حملاتها التأديبية الى أمريكا ، فصمد ثوارها في معظم الميادين حوالى ست

سنوات وساعدهم على ذلك اتحادهم وطبيعة بلادهم الواسعة وتكتيكهم العسكري الفذ ، حيث قسموا قواتهم الى عدة جيوش للاحاطة بالانجليز من كل جانب فاذا انزل الانجليز هزيمة بأحد جيوشهم ظهر لهم جيش أمريكي آخر على بعد أميال قليلة ، يضاف الى ذلك ما قدمته فرنسا واسبانيا وهولنده من مساعدات للثوار وعطف الرأي العام الأوربي على مبادئ الثورة الأمريكية مما جعل الانجليز عاجزين عن اخضاع الثورة المتسعة الأرجاء خاصة وان تحمل قواتهم عبر المحيط كان يكلفهم الكثير من النفقات .

ونتيجة لتوالي انتصارات الثوار ارتد القائد الانجليزى كورنواليس الى يوركتون Yorktown وهناك هاجمه واشنطن بمساعدة بعض الفرنسيين حتى تمت هزيمته في اكتوبر عام ١٧٨١ ، ولم يبق امام الأمريكيين سوى تحرير نيويورك .

ونظرا لما لاقته بريطانيا من هزائم اضطرت الى توقيع الصلح نعمتت معاهدة في عام ١٧٨٣ اعترفت بها بريطانيا باستقلال الولايات المتحدة على اساس اعتبار نهر المسيسبي هو حدها الغربى .

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشرة مستقلة واتخذت لنفسها اسم الولايات المتحدة وعين جورج واشنطن أول رئيس للولايات المتحدة ونهض ببلاده بطريقة اكسبته محبة الأمريكيين واحترامهم ، كما أنه كان أكثر ميولا الى المبادئ والتقاليد المحافظة .

وقد أعقب ذلك تحسن العلاقة بين أمريكا وبريطانيا وعلى الرغم من أن واشنطن قد اتخذ موقف الحياد في علاقته مع كل من بريطانيا وفرنسا أثناء الحرب بينهما ، فان هذا الحياد كان مشوبا بالود نحو بريطانيا خصوصا وأن مصالح أمريكا التجارية حتمت الاتجاه أكثر نحو بريطانيا ، ونظرا

لاستيلاء فرنسا في عهد بونابرت على مستعمرة لويريانا التي كانت الولايات المتحدة تتطلع الى ضمها اليها ساءت العلاقات بين الدولتين حتى حصلت الولايات المتحدة عن طريق الشراء على هذه المستعمرة فكسبت فرنسا علاقات طيبة مع الولايات المتحدة .

وفي حين كانت الولايات المتحدة تحقق لنفسها وحدة اراضيها واستقلالها كانت أوروبا خاصة انجلترا وفرنسا في حروب ضارية لم تنته الا بسقوط نابليون وامبراطوريته .